ثم إلى المدينة المنورة[١] وفي الكل مهاجرة من الشهوات والإنيات والأنانيات إلى الله وفي الله، مهما كان فيها تنقّل مكاني أم لم يكن حيث أن حجر الأساس فيها التباعد عما سوى الله إلى الله وفي الله، مهما اختلفت الظروف والاشكال، فالمهاجرة في الله لا تحدّ بحدود المكان والزمان وإنما هي المكانة والإيمان يهاجر للحافظ عليه والمزيد فيه. ف «إن المهاجر من هجر ما نهى الله عنه، هجر السوء والخطايا والذنوب»[٢] ولقد «كان من الأنصار مهاجرون لأن المدنية كانت دار شرك»[٣] «كانوا من المهاجرين لأنهم هجروا المشركين»[٤].

فالمسلم المصابر على إيمانه، المتثابر في الله، إنه من المهاجرين أينما حل أو أرتحل أم سكن واستكن، وجملة القول في المهاجرة ككل إنها تنقسم حسب الأحكام التكليفية، خمس بخمسة فصالحاتها درجات كما طالحاتها دركات.

ثم المهاجرة في الله هي تجسّد كلمة التوحيد بسلبها: «لا إله» في سلبيات المهاجرة، وبإثباتها: «إلا اللّه» في إيجابياتها، فكل من يحمل كلمة التوحيد فهو مهاجر في بعديها على أية حال، حيث الحواجز في السلوك إلى الله كثير، فالموحد هو دائب المهاجرة في الله.

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ حياة حسنة كما يطلبونها ليل نهار: ﴿رَبَّنَآ

= طوائف منهم بأرض الحبشة ثم بوأهم الله المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة وجعل لهم أنصاراً من المؤمنين..

(١) المصدر أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس في الآية قال: إنهم قوم من أهل مكة هاجروا إلى رسول الله ﷺ بعد ظلمهم وظلمهم المشركون.

(٢) صحيح البخاري باب الإيمان ٤.

(٣) سنن النسائي البيعة ١٣.

(٤) سنن النسائي البيعة ١٣.

ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾[١] فالمهاجرة في الله تسهّل كل صعب، وتحسّن كل سوء ﴿۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٢].

لا تفكر أنك إذا هاجرت وطنك وشغلك في الله تلقي بنفسك إلى التبعثر والحيرة دون بواء، فقد وعدك الله بترك بوائك في الله ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ﴾ رغم أن الدنيا دار عناء وشقة سيئة، وذلك طرف من الأجر ضئيل فإن متاع الدنيا أياً كان قليل ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ﴾ وحسنتها ﴿أَكْبَرُ﴾ من أجر الدنيا وحسنتها ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ والبواء هنا لا تخص دار الهجرة مهما كانت من البواء الحسنة، حيث النص ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ﴾ سواء أكانت بواء دار الهجرة أم الرجوع إلى أرض الوطن أم فيهما، وعلى أية حال فهي البواء والحياة الحسنة، الملائمة للحفاظ على كرامة الإيمان، مهما كانت فيها صعوبات في ظاهر الحال..

وترى من هم المعنيون هنا بـ ﴿يَعْلَمُونَ﴾؟ أهم المهاجرون في الله؟ وهم بطبيعة الحال يعلمون، وإلّا فلم يهاجرون إن لم يكونوا يعلمون!، ثم و«لو» المحيلة عادياً لمدخولها تحيل لهم أن يعلموا خير أجر الآخرة، وإنه أكبر، فليسوا - إذاً - إلّا المشركين السابق ذكرهم، ثم وليست ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ لتختص علمهم بحسنى الآخرة، بل وقبلها حسنى الدنيا، والكفار لا يعلمون الحسنيين، إذ لا يعرفون حسنى الحياة الدنيا، ولا يصدقون الاخرى فضلاً عن حسناها!

فليعلموا ولن.. إن للمهاجرين في الله من بأسهم، في الدنيا حسنة رغم انها سجنهم، ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾!.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠١.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٠٠.

ثم هناك مهاجرة عوان بين ما في الله وما في الشيطان، مهاجرة عن أرض الوطن تجارية أماهيه، مباحة لا واجبة ولا راجحة، أم راجحة لا تنوي بها رجحانها عند الله، وحتى إذا كانت واقعاً في الله ولكنك لا تنوي تلك النية الخالصة، أم لا تهوى إلّا متاع الدنيا المباحة، فكل هذه خارجة عن المهاجرة في الله، فلا أجر لها لا هنا ولا في يوم الله، مهما لم يكن لها وزر أم كان، اللهم إلّا لتقصد الحلال ابتعاداً عن الحرام، فإنه عبادة ومرضاة لله، فلتكن من مصاديق المهاجرة في الله مهما كان من أدناها.

﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾:

والمهاجرون في الله الذين لهم أجرهم هنا وفي الأخرى، هم ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ قبل أن يهاجروا أو بعدها، صبراً على الظلم حيث لا يطيقون دفعه، حفاظاً على إيمانهم مهما ظلموا دونه، ثم هاجروا ابتعاداً عن الظلم وعن نقصان الإيمان في تداوم الظلم، وصبروا في مهاجرهم على بعد الوطن والمال والعيال، دون أن يفتكروا في الرجوع إليه، أم يغتموا للبعد عنه ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ في مهاجرتهم في الله، وتصبّرهم في سبيل الله، دونما اعتماد على طاقاتهم النفسية مهما كانت نفيسة

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَۙ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾:

﴿أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾ هنا وفي الأنبياء ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَۙ﴾ ﴿وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ﴾[1].

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٨.

إنهم هم المسؤول عنهم في كيان الرسل والرسالات من قبل، أهم ملائكة لا يأكلون الطعام ولا يمشون في الأسواق، أم هم البشر جسد لا يأكلون الطعام وهم خالدون لا يموتون؟.

﴿مِن قَبْلِكَ﴾ هنا تضرب إلى أعماق الماضي منذ خلق رجال ونساء من إنس أو جان أو أياً كان، قبل هذا النسل الموجود من القبيلين وبعده.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا . . . إِلَّا رِجَالًا﴾ رسالة دون وسيط إلى العالمين، حيث إن رسل الوحي الملائكية مرسلون إلى هؤلاء الرجال، ثم هم إلى العالمين، والأوّلون لا رجال ولا نساء، فالحصر حقيقي يستغرق كافة الرسالات المتصلة بالمرسل إليهم طول التاريخ الرسالي دونما استثناء، لأنهم هم المعروفون عند أهل الذكر بالرسالات، عرفاناً شهودياً بالرسل الذين هم لصقهم في الدعوة دون وسيط، دون الملائكة الذين هم مادة المشكلة عند المرسلين: لماذا ما أرسلوا، هم إليهم؟.

﴿رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ﴾ وحي الرسالة الشرعة التكليفية، مما يؤكد انحصار هذه الرسالات في الرجال دون النساء أو الخناثى، أم صنف آخر هو سنخ واحد بلا ذكور وإناث كالملائكة، فذلك الوحي - إذاً - منحصر فيهم منحسر عمن سواهم، وهذه قضية الحكمة العالية الربانية ان يرسل إلى كل صنف من صنفه ومن أفضله: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ . . .﴾[1] - ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾[2] ولا ريب أن قبيل الرجال أفضل من قبيل النساء فإنهم قوامون على النساء، وهم أصلح دعوة وأحرى منهن في الواجهة الجماهيرية دعاية سليمة عن النزعات المعرقلة عن مسير الرسالات ومصيرها.

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٣٠.
(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٩.

وأنتم معشر المشركين الشاكين في نوعية الرسل والرسالات، عليكم أن تسألوا في ذلك أهل الذكر حتى يعلّموكم ما لا تعلمون، فـ «لا ينبغي للعالم أن يسكت على علمه ولا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله وقد قال الله: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فينبغي للمؤمن أن يعرف عمله على هدى أم على خلافه[1] فلولا واجب الجواب عن السؤال لم يكن مجال لواجب السؤال، إذاً فواجب الجواب مستفاد من الأمر بالسؤال، ومهما كان الجواب مشروطاً بشروط، فكذلك السؤال دونما فوضى هنا أو هناك.

وهذه ضابطة قائمة دائمة لقبيلي العلماء والجهال، ضابطة عن التردي في هوّات الجهالات، فالعلم مطلوب لكل ذي مسكة وإدراك، والجهل مرفوض، والبقاء على الجهل مع إمكانية التعلم جهل على جهل لا يرتضيه أي عاقل ولا مجنون، ولا سيما بالنسبة للأمور التي هي محور الحياة الإنسانية وفي قمتها قصة الوحي الرسالي حيث يتبنى الحياة جديدة جادة في كافة الحقول الحيوية.

والإنسان أياً كان له إحدى حالات أنفسية أربع بالنسبة لأي أمر كان، علماً أو ظناً أو شكاً أو احتمالاً، ولا بد لكلّ من حجة تثبته، فأي ادعاء في هذه الأربع سلباً أو إيجاباً لا يحتمل القبول عند أصحاب العقول إلّا بدليل.

والمشركون لا برهان لهم لسلب الوحي مادة وكيفية وحملة، اللهم إلا إدعاءات جوفاء، أم أحلاف هي لا تنفع في أمور الشرعة الأصلية، إلّا في الدعاوي الشخصية عند فقدان الدليل، فهم لا يستطيعون سلب الوحي بدليل، وإذاً هم لا يصدقونه بالبينات وبالزبر، فهل لهم البقاء على ما لا يعلمون؟ كلّا! ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فالذين عاشوا جو

(١) الدر المنثور ٤: ١١٩ - أخرج ابن مردوية عن جابر قال قال رسول الله ﷺ: . . .

الرسالات على مدار الزمن ولا سيما علماءهم، هم المسؤل عنهم للمشركين الشاكين في نوعية الرسالات.

فأنتم المتشككون في كيان الرسل والرسالات عليكم لزاماً فطرياً وعقلياً أن تسألوا أهل الذكر، المحشورين بهذه الرسالات، فأهل البيت أدرى بما في البيت، وأهل الوحي - رسلاً وأئمة ومؤمنين به - هم أدرى بكيانات الوحي والموحى إليهم، فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون، فأهل الذكر ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ حيث يتذكرون بهما طبيعة الرسالات هم أدرى بها وأحرى أن يسألوا ممن لا ذكر له بهما إذ ليس من أهلها كالمشركين والملحدين.

﴿فَسْـَٔلُوٓاْ... إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فحين يكون الإنسان ممن يعلم، أو بامكانه أن يعلم دون مراجعة إلى من يعلم، فلا سؤال إذاً ممن يعلم، فأنتم الناكرون لرجولة الرسالات لو تعلمون شريطة الرجولة والمسانخة بين الرسل والمرسل إليهم فهو الحجة عليكم، وإذ لا تعلمون فاسألوا الذين هم يعلمون، ولا حجة لكم ثالثة في ذلك الحقل إنكم تعلمون شريطة اختلاف الجنس بين الرسل والمرسل إليهم، فإن كانت ولن فاتوناً بسلطان مبين أو علم يقين!.

هنا مورد الآية هو السؤال عن نوعية الرسالات، وقد يكفي للجواب عن هذا السؤال «أهل الذكر بالبينات والزبر» وهم كافة أهل الكتاب ولا سيما علماءهم أياً كانوا، فإن الشرعة الكتابية ذكر لهم بالغ دون ريبة أن طبيعة الرسالات الإلهية بشرية في رجال كسائر البشر، إلّا أنه يوحى إليهم.

ثم السؤال عن المهام الحيوية والجواب عنها لا يفرضها - فقط - وحي الله، حيث الفطرة والعقلية المتكاملة الانسانية فطرياً، هما الحاكمان بفرضهما قبل حاكم الوحي.

ومن ثم ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ﴾ وفي نطاق عام يتخطى ذلك السؤال من هؤلاء

المشركين، إلى كل سؤال في أي زمان أو مكان، من أي أنس أو جان أو أياً كان، لكل من يجهل ما يتوجب عليه علمه، وليس ليعلم بمحاولته نفسه حيث الجملة المستقلة في آية، ولا سيما كضابطة لمقدمتها، ليست لتختص بمورد نزولها، أو المذكور قبلها، ولا سيما إذا كانت مبرهنة، وهنا ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ﴾ تفريعه على ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ والمسلمون أحرى بذلك.

وهنا المعنيون من ﴿أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ هم الرعيل الأعلى الذين لا يجهلون، وهم محمد ﷺ والمحمديون من عترته المعصومون، ومن ثم العلماء الربانيون الحاملون علومهم.

فحين يجب السؤال عن أهل الكتاب وليسوا هم في عصمة علمية ولا عملية، فهلا يجب السؤال عن المعصومين عليهم السلام؟ وهم أصدق مصاديق أهل الذكر! فالذكر هو محور المسؤلية - أياً كان - و﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ هو محور السائلية، وهما درجات حسب درجات العلم فرضاً ونفلاً.

فـ ﴿ٱلذِّكْرِ﴾ هو كل كتاب سماوي(١) وهو بالأحرى القرآن(٢) وهو رسول القرآن(٣)، فأهله هم في مثلث من الدرجات كما الذكر درجات، ولكل سائل حال، ولكل سؤال مجال.

---

(١) كما في قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢].

(٢) ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤] وفي نور الثقلين ٣: ٥٥ عن بصائر الدرجات عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في الآية قال: الذكر القرآن وآل الرسول أهل الذكر وهم المسؤولون.

(٣) ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَّسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ﴾ [الطلاق: ١٠-١١] آياتنا وفي نور الثقلين ٣: ٥٤ عن أصول الكافي عن أبي جعفر عليه السلام في الآية قال رسول الله ﷺ الذكر أنا والأئمة عليهم السلام أهل الذكر وفيه عن عبد الرحمن بن كثير قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام فاسألوا أهل الذكر... قال: أهل الذكر محمد ﷺ ونحن المسؤولون.

وأحرى بأئمة المؤمنين، الاثني عشر المعصومين، أن يعنوا كقمة علياً من أهل الذكر بعد الذكر نفسه قرآناً ورسول القرآن، فهم أهل الذكر:

الرسول، وهم أهل الذكر: القرآن، أهلوه بأهلية ذات بعدين، نسبياً، وأحرى منه روحياً[١] وأحرى منهم من هم به ﴿أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ كالرسول الأقدس محمد ﷺ.

(١) المصدر عن الوشاء قال: سألت الرضا عليه السلام فقلت جعلت فداك: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] فقال: نحن أهل الذكر ونحن المسؤولون، فقلت: فأنتم المسؤولون ونحن السائلون؟ قال: نعم - قلت: حقاً علينا أن نسألكم؟ قال: نعم - قلت: حقاً عليكم أن تجيبونا؟ قال: لا - ذلك إلينا إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل أما تسمع قول الله تبارك وتعالى: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٩].
وفيه عن أصول الكافي عن حمزة بن الطيار أنه عرض على أبي عبد الله عليه السلام بعض خطب أبيه حتى إذا بلغ موضعاً منها فقال له: كف واسكت ثم قال عليه السلام: لا يسعكم فيما ينزل بكم مما لا تعلمون إلّا الكف عنه والتثبت والرد على أئمة الهدى حتى يحملوكم فيه على القصد ويجلو عنكم فيه العمى ويعرفوكم فيه الحق قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].
وفيه عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن من عندنا يزعمون أن قول الله عزوجل: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] - إنهم اليهود والنصارى؟ قال: إذا يدعونكم إلى دينهم ثم قال بيده إلى صدره: ونحن أهل الذكر ونحن المسؤولون.
أقول: هذا رد على اختصاص أهل الذكر بأهل الكتاب والآية مطلقة في السائلين والمسؤول عنهم، فالسائل المسلم لو سأل أهل الكتاب عما يحتاج إليه لدعاه إلى دينه - ولكن الآية مطلقة وأصدق مصاديق المسؤول عنهم هم الرسول وعترته المعصومون، وأصدق مصاديق السائلين هم المسلمون، ومن الشاهد على أن المقصود نفي الانحصار، ما رواه في عيون الأخبار في باب مجلس الرضا عليه السلام مع المأمون في الفرق بين العترة والأمة حديث طويل وفيه قالت العلماء: فأخبرنا هل فسر الله تعالى الإصطفاء في الكتاب؟ فقال الرضا عليه السلام فسر الإصطفاء في الظاهر سوى الباطن في اثني عشر موطناً وموضعاً فأول ذلك قوله عزوجل - إلى أن قال - وأما التاسعة فنحن أهل الذكر الذين قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] - فقالت العلماء: إنما عنى بذلك إليهود والنصارى - فقال أبو الحسن عليه السلام سبحان الله وهل يجوز ذلك إذا يدعونا إلى دينهم ويقولون إنه أفضل من دين الإسلام؟ فقال المأمون: فهل عندك في ذلك شرح بخلاف ما قالوا يا أبا الحسن عليه السلام فقال: نعم - الذكر=

هذه هي سنة الرسالة الإلهية كعادة مستمرة طول الخط الرسالي: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾[١] ولا رسالتي بدعة بين الرسالات، فإنها سلسلة موصولة بين الله وبين العالمين، و﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾[٢] رسالةً واتجاهاً.

فلا هم حاملون مشيئة الله تكوينياً حتى يحملوا عباد الله على طاعته، كيف! والله هو نفسه لا يحمل خلقه هكذا على طاعته أو يزجرهم عن معصيته ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾[٣].

ولا إنهم ملائكة، أم جسد لا يأكلون الطعام أو هم خالدون، ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فإنما هم يحملون بلاغاً لمشيئة الله التشريعية إلى المكلفين، ومن ذلك ابطال القالة الجاهلة القاحلة، ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا... وَلَا حَرَّمْنَا...﴾.

= رسول الله ﷺ ونحن أهله وذلك بين في كتاب الله عزوجل حيث يقول في سورة الطلاق: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَـٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَـٰتٍ﴾ [الطلاق: ١٠-١١] فالذكر رسول الله ﷺ ونحن اهله فهذه التاسعة، ولقد أخرج تفسير أهل الذكر بالرسول ﷺ وبالعترة الطاهرة عليهم السلام جماعة من الحفاظ والمؤلفين والمفسرين من إخواننا منهم الطبري في تفسيره (١٤: ٦٩) عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في الآية قال: نحن أهل الذكر والثعلبي كما في العمدة لابن بطريق ص ١٥٠ عن جابر الجعفي لما نزلت هذه الآية قال علي عليه السلام نحن أهل الذكر، وابن كثير في التفسير (٢: ٥٧٠) عن أبي جعفر عليه السلام مثله والقطان في تفسيره كما في كفاية الخصام ٣٣٨ روى نزول الآية في علي عليه السلام والحافظ محمد بن مؤمن الشيرازي في المستخرج من التفاسير الإثني عشر كما في الكفاية في الآية أي فاسألوا عن أهل البيت والله ما سمى المؤمن مؤمناً إلا بسبب حب علي بن أبي طالب عليه السلام وأبو الثناء الألوسي في روح المعاني (١٤: ١٣٤). أورد اختصاصهم بأئمة أهل البيت عليهم السلام والقندوزي في ينابيع المودة عن الثعلبي عن جابر عن علي عليه السلام نحن أهل الذكر (تعليقات إحقاق الحق لسماحة الحجة المرعشي النجفي (٣: ٤٨٢ - ٤٨٣).

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

(٣) سورة يونس، الآية: ٩٩.

وترى بماذا تتعلق ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾؟ إنها صالحة التعلق أدبياً ومعنوياً بكلّ من «أرسلنا - نوحي إليهم - فاسألوا - الذكر - إن كنتم لا تعلمون» وخماسية التعلقات تجعل الإرسال والوحي والسؤال والذكر ولا تعلمون، مربوطة بالبينات والزبر[١].

فلا تخلو اية رسالة إلهية عن البينات والزبر: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ...﴾[٢] حيث يوحى إليهم بالبينات المعجزات كما بالزبر، وليسأل أهل الذكر بهذه البينات والزبر، سؤالاً بهما لأنهما خير مادة لسؤل الاستعلام، وذلك ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ وأما الذي يعلم طبيعة الرسالات بنفس البينات والزبر فلماذا يسأل وليس المسؤول بأحرى من السائل.

ثم ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ﴾ لا تختص بالمشركين الناكرين للرسالات الإلهية مهما كانوا هم مورد نزول الآية حيث المورد لا يخصص، بل هو عام لكلّ من هو داخل في نطاق ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أياً كان اللّاعلم، في الشرعيات: عقليات أو تعبديات، وسواها من العلوم المرغوبة لأمور الدنيا المباحة وأمور الآخرة.

فإن كان العلم واجباً فالسؤال واجب، وإن كان راجحاً فراجح، و﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ هو الحد النهائي لسماح السؤال أم وجوبه، فإن لا تعلم الآن ولا تفوت الأوان وتستطيع أن تعلم قبل فوات الأوان، دون عسر ولا حرج، ولا فوت لواجب العلم عملاً، فلا تشملك ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فإنها تنفي الكينونة الممكنة للعلم، دون كل جهل وإن بالإمكان إزالته دون سؤال، ففرق بين «إن لا تعلم» و﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فـ «فإن كنتم» تضرب

(١) والباء في الأول معية سببية وفي الثاني مصاحبة وفي الثلاثة الباقية سببية.
(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٥.